دور المتطـــوعة

فى حركة الجهاد ضد الصليبيين والمغول

بقـلم
دكتور عبد الله بن سعيد بن محمد سافر الغامدى(*)

مقـــدمة :

الحمد لله القائل فى محكم كتـابه (من المؤمنين رجال صـــدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) والصـلاة والسـلام على أشرف خلقه نبينا محمـد وآله وصحبه وأتباعه ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ... وبعد

فقد حظيت عناصر الجيش الاسلامى زمن الحروب الصليبية والغزو المغولى ، باهتمام وعناية الدارسين والباحثين ، حيث تناولوا هـــذه العناصر وبالذات النظامية منها ـ كالجيش السلطانى وجيوش الأمراء وغيرها ـ بدراسات وأبحاث عديدة ، الا أن عنصراً هاماً وهم الجنـــد المتطوعة لم ينل نصيبه من ذلك الاهتمام باستثناء ما اشـــار اليه بعض الباحثين ابان حديثهم عن العناصر النظامية . وقد حاولت من خـــلال هذا البحث المتواضع أن أسهم بالقاء بعض الأضواء على هـــذا الموضوع بهدف ابراز الدور الهام الذى اضطلع به المتطوعة خـــلال هذه الفترة الحاسمة والحرجة من تاريخ الأمة الاسلامية . وأوضحت فى هذه الدراسة أنه كان يوجد خلال تلك الفترة فرق عديدة من الجنـــد المتطوعة لعبت دوراً بارزاً الى جانب الجيوش النظامية الأخـــرى ، فى مواجهة خطر الصليبيين والمغول ، حتى تم للمسلمين الخلاص منهما ، باعتناق المغول الاسلام ، واقتلاع الوجود الصليبى فى الشرق الاســـلامى من جذوره ،

(*) أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى ـ قسم التاريخ ـ جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة .

وذلك خلال النصف الثانى من القـــرن السابع الهجـرى ، الثالث عشر الميـــلادى ٠

وختاماً التمس من القارىء الكريم العذر فيما يظنه موضعا لنقص أو تقصير أو زلة ، اذ الكمال لله تعالى وحده ، وهو المستعان والهادى الى سواء السبيل ٠

بسـم الله الرحمن الرحيم

المتطوعة ، أو المطوعة هم الجند الذين « يتطوعون بالجهاد »(١) الى جانب الجيش النظامى ، ايمانا بفرضية الدفاع عن حوزة الاســـلام والمسلمين ٠ ولم يكن هؤلاء المتطوعة من أهل الديوان ، وانما يفدون الى ساحات القتال ، من البدو وسكان القرى والامصار متى داهم العدو بلاد المسلمين(٢) ، أو أمر امام المسلمين بالنفير العام للجهاد فى سبيل الله امتثالا لقول الحق تبارك وتعالى (انفـــروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)(٣) ٠

والمعروف أن الجيوش الاســـلامية ، عرفت طائفة الجند المتطوعة طاول عصورها التاريخية ، فمن المتواتر عليه أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يكره أحداً من أصحابه على المشاركة فى الغزوات أو السرايا التى حدثت فى عهده ، ومن الثابت أنه صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن جحش عندما أرسله فى سرية الى نخلة فى السنة الثالثة للهجرة أن لا يكره أحداً على الخروج معه ٠ وعندما عزم عليه الصلاة والسلام على الخروج الى خيبر فى السنة السابعة للهجرة قال لأصحابه « لا يخرجن معنا الا راغب فى الجهاد » وعندما أراد الخروج الى تبوك فى السنة

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ٢٤٣ ٠

(٢) نظير حسان سعداوى ، جيش مصر ، ص ١٧ ، عبد العزيز السلومى ، ديوان الجند ، ص ٣٤٠ ، جرجى زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامى ، جـ ١ ، ص ١٧١، ١٧٢ ، ابراهيم الساكت ، الجيش فى التراث العربى الاسلامى ، ص ١٦٧ ٠

(٣) التوبة ، آية ٤١ ٠

التاسعة للهجرة بعث الى « القبائل والى مكة يستنفرهم ، وحض المسلمين على القتال ورغبهم فيه »(٤) .

ومن هذا يتضح لنا أن أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم هـــذه وأقواله لا تنطوى على أى الزام بالخروج ، وانما كان الأمر لا يتعـــدى الحث على الجهاد والاستنفار اليه .

وبعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى سنة ١١هـ/٦٣٢م . وآل أمر المسلمين الى الخليفة الراشد أبى بكر الصديق رضى الله عنه استمر أمر الخروج للجهاد على ذلك الوضع ، فكان الجيش الاسلامى يتألف من الجند المتطوعة الذين توافدوا من القرى والأمصار وعلى رأسها مكة والمدينة والطائف وغيرها ، وكانت رسل الخليفة تتردد على زعماء القبـــائل المجاورة كســـليم وغفار ومزينة وجهينة يدعونهم ويستنفرونهم للجهاد فى سبيل الله تطوعا(٥) . ولم يكره رضى الله عنه أحداً من المجاهدين على البقاء فى ساحات القتال ، فقد كتب الى خالد ابن الوليد رضى الله عنه بعد فراغه من اليمامة سنة ١٢ هـ يقول له « ان فتح الله عليك فعارق حتى تلقى عياضـــاً » وكتب الى عياض « ان سر حتى تأتى المصيخ فابدأ بها ، ثم ادخل العراق من اعلاها ، وعارق حتى تلقى خالداً ، وأذنا لمن شاء بالرجوع ، ولا تستفتحا بمتكاره »(٦) . ومما يؤكد أن الخروج للجهـــاد زمن الصديق رضى الله عنه كان طواعية لا اكراه فيه أنه درج على دعوة الناس للجهاد بالحسنى بعد أن يرغبهم فيه ويبين لهم منازل الشهداء عند الله تعالى . فيأتى من يستجيب الى المدينة « فمنهم من يسير الى أبى ، ومنهم من يسير الى يزيد ، يسير

---

(٤) لمزيد من التفصيل انظر ، محمد أحمد عواد ، الجيش والقتال فى صـــدر الاسلام ، ص ٧٣ ــ ٧٦ .

(٥) محمد أحمد عواد ، المرجع نفسه ، ص ٧٦ ، وفيق الدقدوقى ، الجندية فى عهد الدولة الأموية ، ص ١٢٧ .

(٦) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٣٤٦ ، والمصيخ ، بضم الميم وفتح الصاد المهملة وياء مشددة وخاء معجمة ، يقال له بنى البرشاء ، وهو بين حوران والقلت . (انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٤٤) .

كل الى من أحب »(٧) ٠ واستمر النطوع للجهاد فى خـــلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ففى عهده ازدادت الحاجة لارسال المجاهدين لقتال الفرس والروم ، وأخذ يدعو الناس للجهاد ويحثهم عليه ، فهبت قبائل اليمن ملبية النداء وخرجت للجهاد نطوعا ٠ ونظرا للحرية التامة التى تمتع بها هؤلاء المتطوعة فى اختيار الوجهة التى يفضلونها ، فانه ربما كان لوجود كثير من القبائل اليمنية فى الشام أثره فى دفع هـــذه القبائل على المسير الى هناك(٨) ، ولعل هذا الأمر هو الذى دعا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه الى القـــول « بل العـــراق فان الشام فيـه كفـاية »(٩) ٠

ورغم أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنشأ بعد ذلك ديوان الجيش وذلك فى سنة ٢٠هـ/٦٤٠م لتنظيم عملية الجهاد بعد أن اتسعت حركة الفتوحات الاسلامية ، الا أن الجيوش الاسلامية شهدت فئات متعددة من الجند المتطوعة بعد ذلك الوقت ، ففى العهد الأموى توافدت أعداد كثيرة من المتطوعة للجهاد ضد الأتراك المسيحيين والهنود الزرادشتيين وغيرهم ، وكان خروج هـــؤلاء المتطوعة يتم على نفقتهم الخاصة ، بل أسهموا أحياناً فى تكاليف العمليات الحربية بتقديم الأموال وتأمين العدد والمؤن اللازمة للجهاد والمجاهدين ، وكانوا يعاملون معاملة خاصة مغايرة لمعاملة العسكر النظامى ، اذ كان باستطاعتهم العودة الى ديارهم متى أرادوا(١٠) ٠

وروى الطبرى أن الخليفة العباسى هارون الرشيد رحمه الله ، لما فتح هرقلة سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م بث الجيوش والسرايا بأرض الروم « وكان دخلها فيما قيل فى مائة وخمسة وثلاثين ألف مرتزق ، ســـوى الاتباع وسوى المطوعة وسوى من لا ديوان له »(١١) كذلك شهد القرن الثالث

---

(٧) انظر الطبرى ، ج ٤ ، ص ٢٣٠ ؛ محمد أحمد عواد ، المرجع نفسه ، ص٧٨٠

(٨) محمود عواد ، المرجع نفسه ، ص ٧٨ ٠

(٩) الطبرى ، المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٧١ ، ٧٢ ٠

(١٠) وفيق الدقدوقى ، الجندية فى عهد الدولة الأموية ، ص ١٢٨ ٠

(١١) انظر تاريخ الطبرى ، ج ٨ ، ص ٣٢٠ ، انظر أيضا ، القلقشندى ، مآثر =

الهجرى التاسع الميلادى فرقاً من المتطوعة للجهـــاد فى أرض خراسان وبلاد ما وراء النهر ، فقد تحـــــدث المؤرخون عن بعض الثورات التى حركتها هذه الفرق ، وعن الدور الذى لعبته فـــرق المتطوعة فى قيام الدولة الصفارية التى أنشأها أحد قواد هذه الطائفة ، وهو يعقوب بن الليث الصفار ، وذلك فى سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م ٠ وذكر ابن الأثير أنه ظهر فى خراسان فى هذه الســنة شـــخص يدعى درهم بن الحســين « من المتطوعة » فتغلب عليها بواسطة يعقوب بن الليث الصفار ـ الذى كان قائد عسكره ـ ولما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب وملكوه أمرهم(١٢) كما يذكر الكندى ٠ أن ثغور مصر المسماه بالمواجيز « يعمرها أهل الديوان والمطوعة » وكانت أحباس السبيل التى يتولاها القضاة تجمع فى كل سنة ، فاذا كان شهر أبيب بعث القاضى ما اجتمع من أموال السبيل ففرقت على مواجيز مصر من العـــريش الى لوبية ، وأعطيت « للمطوعة » ومن كان فقيراً من أهل الديوان »(١٣) ويذكر بارتولد أن السلطان محمود الغزنوى ، استخدم عشرين ألف غـــاز من

=

الاناقة ، جـ ١ ، ص ١٩٦ ، وهرقلة : بالكسر ، ثم الفتح ، مدينة ببلاد الروم ، سميت بهرقلة بنت الروم بن اليقذ بن سام بن نوح عليه السلام (انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٣٩٨ ٠

(١٢) انظر الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٩١ ، انظر أيضا حامد غنيم ، عصر الدول الأقليمية ، جـ ١ ، ص ١٩٠ ، جيرارد زلثغر ، الفتوة ، ص ٢٨١ ٠ ويذكر النويرى فى نهاية الأرب أن يعقوب الصفار كان أول أمره أحد قادة صالح بن النضـــير الكنانى ، الذى اشتهر « بالتطوع » فى قتال الخوارج ، وقد تغلب على سجستان سنة ٢٣٧هـ وكان يعقوب مخلصا له فجعله صالح فى مقام النائب عنه ، ولما مات صالح تولى مكانه درهم بن الحسين ، فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح ، ولم يكن درهم فى كفاءة صالح ورأى الجيش عجزه عن النهوض بأعباء الزعامة ، فاجتمعوا على يعقوب ، والتفوا حوله لما رأوه من حسن تدبيره وسياسته وقيامه بأمرهم ، ولم يقاوم درهم رغبة الجيش ، وسلم الأمور الى يعقوب واعتزل الجيش فاشتدت شوكة يعقوب « انظر ، جـ ٢٣ ، ص ، انظر أيضا ، محمد حيدر ، الدويلات الاسلامية فى المشرق ٥٧ ، ٥٨ ٠

(١٣) نظر ، آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٩٥ ؛ نقلا عن الكندى القضاه والولاه ، ص ٤٨١ ، ٤١٩ ٠

المتطوعة جاء بهم من أماكن متفرقة فى بلاد ما وراء النهر(١٤) . ويذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م أن يمين الدولة محمود بن سبكتكين عزم فى هذه السنة على غزو بلاد الهند ، واختار من عساكره « والمتطوعة » خمسة عشر ألفاً ونزل بهم على مدينة برشور ، فلقيه ملك الهند جيبال فى عساكر كثيرة فى المحرم من هذه السنة ودارت بين الطرفين معركة عنيفة انتهت بهزيمة الهند وأسر ملكهم ومعه جماعة كثيرة من عشيرته ، وغنم المسلمون منهم أموالا كثيرة وجواهر نفيسة(١٥) . كذلك يذكر ابن الأثير أيضاً فى حوادث سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م أن يمين الدولة سمع أن أهل تانيشر لديهم فيلة من جنس الصيلمان الموصوفة فى الحرب وأن صاحب هذه المدينة بالغ فى الكفر والطغيان والعناد للمسلمين ، فعزم على غزوه وتأديبه « فسار فى الجنود والعسكر المتطوعة » فقاتل الهنود حتى هزمهم وعاد الى غزنة محملا بالغنائم(١٦) .

وقد اشارت المصادر المعاصرة لفترة الحروب الصليبية الى أن الجيوش الاسلامية فى عهود الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، اشتملت على فرق من الجند المتطوعة ، ومن ذلك أنه عندما توجه السلطان عماد الدين زنكى سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م لحصار الرها توافد عليه جمع غفير من « المتطوعة » فطوق بهم المدينة من جهاتها الأربع وحالوا بينها وبين

---

(١٤) جيرارد زلينغر ، المرجع نفسه ، ص ٢٢٠ ، نقلا عن : Barthold Turkestan down to the Mongol Invasion

(١٥) الكامل ، جـ ٧ ، ص ٢١٣ ويمين الدولة هو : أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبى منصور سبكتكين ، لقبه القادر بالله بعد أن سلطنه بعد وفاة أبيه بـ « يمين الدولة ، وأمين الملة ، ولد ليلة عاشوراء سنة ٣٦١ هـ ، وتوفى بغزنه فى ربيع الآخر ، وقيل حادى عشر صفر سنة ٤٢١هـ وقيل سنة ٤٢٢هـ (انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ١٧٥ - ١٨١) .

(١٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٢٧٢ ؛ وتانيشر أو تانيسر ، بتاء مثناه فوقية ، ثم الف ونون مكسوره ، ثم ياء ساكنة ثم سين أو شين مفتوحة ، ثم راء مهملة ، مدينة من بلاد الهند (راجع المصدر نفسه الحاشية) .

ما يصل اليها من المير والأقوات(١٧) ٠

كما استدعى فى السنة نفسها وللغرض نفســـه « طوائف التركمان المتطوعة »(١٨) ٠ وذكر سبط ابن الجوزى أن عدد من شارك صلاح الدين فتح بيت المقدس من المتطوعة بلغ زهـــاء عشرة آلاف رجـــل من كـل الأجناس(١٩)٠ وعبر لين بول عن ذهوله الشديد من كثرة عدد المتطوعة فى جيش صلاح الدين يوم حطين(٢٠) ٠ وعندما قصد السلطان المملوكى الأشرف خليل بن المنصـــور قلاوون عكا ســـنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م لطـرد الصليبيين منها اجتمع عنده العسكر الاسلامى بأعداد لا تحصى « وكان المتطوعة أكثر من الجند ومن فى الخدمة »(٢١) ٠

عناصر الجند المتطوعة ضد الصليبيين والمغول :

أولا : العلماء والفقهاء

تطالعنا المصادر الاسلامية المعاصرة لفترة الحروب الصليبية والغزو المغولى للشرق الاسلامى ، بعبارات واضحة تنم عن المشاركة الفعلية لفئات من العلماء والفقهاء الذين كانت لهم الكلمة النافذة والحظوة لدى الحكام والمحكومين فى الحروب التى خاضها المسلمون ضد الصليبيين والمغول ، من ذلك ما ورد فى معظم المصادر المعاصرة من أن الشيخ أبا عبد الله بن على ابن مهران الفقيه الشافعى ذكر عنه تلاميذه أنه غاب عنهم يوم فتح الرها ، ثم خرج عليهم وهو مستبشر مسرور ، عنده من الارتياح ما لم يروه أبدا ، فلما قعد معهم تظاهر أمامهم بأنه لم يحضر مع عماد الدين زنكى استرداد الرها ٠ ولكن نفراً من الاجناد كانوا قد حضروا مجلسه ،

---

(١٧) انظر ابن الأثير ، الباهر ، ص ٦٩ ؛ ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٩ ٠

(١٨) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص٢٧٨ ٠

(١٩) انظر ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق٢ ، ص٣٩٨ ٠

(٢٠) انظر حسان سعداوى ، المرجع نفسه نقلا عن
Laenepoole, Saladin, p. 204

(٢١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣٢٠ ٠

قالوا له « منذ رأيناك على السور تكبر أيقنا بالفتح ، وهو ينكر حضوره، وهم يقسمون أنهم رأوه عيانا »(٢٢) ٠

كذلك ذكر ابن القلانسى أن نور الدين محمود عندما عزم فى سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م على مهجامة الصليبيين فى بانياس أمر بالنداء « فى البلد المحروس فى الغزاة والمجاهدين والأحداث المتطوعة من فتيان البلد والغرباء ٠٠٠ وتبعه من الأحداث والمتطوعة والفقهاء والصوفية والمتدينين العدد الكثير »(٢٣) ويذكر أسامة بن منقذ أنه عندما قصد رجال الحملة الصليبية الثانية دمشق سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م بزعامة الامبراطور الالمانى كونراد الثالث ، خرج عسكر دمشق لصـــــدهم ، وفى جملتهم « الفقيه الفندلاوى ، والشيخ الزاهد عبد الرحمن الحلحولى ، رحمهما الله ، وكانا من خيار المسلمين ، فلما قاربوهم قال الفقيه لعبد الرحمن ، ما هؤلاء الروم ؟ قال بلى ، قال ، فالى منى نحن وقوف ، قال ، سر على اسم الله تعالى ، فتقدما وقاتلا حتى قتلا فى مكان واحد »(٢٤) وظهر دور العلماء والفقهاء أيضا خلال الدور البارز الذى قام به صـــلاح الدين فى حركة الجهاد ضد الصليبيين فى بلاد الشام من ذلك ما ذكره ابن كثير أن صلاح الدين عندما عزم على استرداد بيت المقدس من الصليبيين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م « قصده العلماء والصالحون تطوعاً »(٢٥)كما شارك العلماء والفقهاء قوات صلاح الدين التى خرجت من مصر تحت قيـــادة متولى الأسطول المصرى حسام الدين لؤلؤ ، الذى جهز المراكب وسيرها فى البحر بعد أن شحنها برجال « البحرية ذوى التجربة والتحرية من أهل النخوة للدين والحمية »(٢٦) لتعقب القوات الصليبية التى أرسلها البرنس ارناط « رينودى شاتيون » حاكم الكرك والشـــوبك فى عرض

---

(٢٢) ابن الأثير ، الباهر ، ص ٧٠ ٠

(٢٣) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٤٠

(٢٤) كتاب الاعتبار ، ص ١٢٢ ؛ والفندلاوى هو الفقيه أبو الحجاج يوسف بن درناس ، شيخ المالكية بدمشق ، كان اماما عالما دينا زاهدا (انظر ابن القلانسى المصدر نفسه ، ص ٢٩٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٥ ، ص ٢٨٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٢٥ ٠

(٢٥) ابن كثير ، المصدر نفسه ، ج ١٢ ، ص ٣٢٢ ٠

(٢٦) العماد ، البرق الشامى ، ج ٥ ، ص ٧٠ ٠

البحر الأحمر ، ونزلت فى ميناء عيذاب ثم عبرت البحر الى السواحل الشرقية عند رابغ والحوراء بهدف المساس بحرمة المقدسات الاسلامية فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولكن القـــوات الاســـلامية تعقبتها حتى أدركتها ولم يبق بينها وبين المدينة سوى مسيرة يوم واحد • وقبض عليهم المسلمون وأرسلوا الى مصر مكبلين فى الاصفاد ، حيث أمر صلاح الدين بقتلهم جميعا بعد استعراضهم فى شوارع القاهرة والاسكندرية « وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة »(٢٧) •

ويبدو أن مشاركة العلماء والفقهاء صلاح الدين فى حركة الجهاد لم تقتصر على من كان منهم قريباً من ساحات القتال ، بل تعدى ذلك الى أنهم كانوا يفدون للمشاركة من مناطق نائية ، من ذلك ما ذكره ابن الأثر فى حوادث سنة ٥٨٤هـ أنه فى هذه السنة حضر عند صلاح الدين فى بلاد الشام فقيه مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأميرها الشيخ عز الدين أبو الفليتة قاسم بن المهنا العـــلوى الحسينى « وشـــهد معه مشـاهده وفتوحة »(٢٨) ، كما تردد فى المصـــادر المعاصرة أن رســـل الحكام المسلمين كانت تخـــرج الى الأمصـــار الاســـلامية « للاســـتنفار والاستنصار »(٢٩) • و « لاستدعاء العساكر والجموع »(٣٠) وأنه كان يهل « للاستدعاء أهل الاستعداد »(٣١) اذ المقصود بالاستنفار استدعاء العساكر النظامية ، أما الاستنصار فلعل المقصـــود بها حث عامة الناس على الخروج للجهاد تطوعا من غير الزام • كما يبدو أن كلمة الجمـوع قصد بها هنا الغزاة المتطوعة • أما أهل الاستعداد فيشمل كلا الفئتين •

---

(٢٧) انظر الحنبلى ، الأنس الجليل ، ص ٣١٧ ؛ عفاف صبره ، دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٤٣ ـ ٤٤ ؛ ورابغ واد على عشر أميال من الجحفه بينها وبين الأبواء ، وساحل الحوراء موضع على الساحل الشرقى للبحر الأحمر (انظر ياقوت ، معجم البلدان) •

(٢٨) انظر الكامل ، ج ٩ ، ص ١٩٥ •

(٢٩) انظر العماد ، الفتح ، ص ٣٣١ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج٢ ، ص١٤٩•

(٣٠) العماد ، المصدر نفسه ، ص ١٩١ •

(٣١) العماد ، المصدر نفسه ، ص ٥٨ •

ويظهر أن طائفة العلماء والفقهاء كانت حريصة على الخروج للجهاد تطوعاً فى أحلك الظروف وأقساها. ويستدل على ذلك مما ذكرته المصادر العربية من أن صلاح الدين عندما خرج الى ثغر عكا بعد أن حاصرها الصليبيون سنة ٥٨٥هـ رافقه عدد من العلماء الاجلاء منهم الفقيه ضياء الدين عيسى الهكارى الذى ظل ملازماً للسلطان صلاح الدين حتى مات فى ركابه بمنزلة المخروبة قريباً من عكا(٣٢) ، وكذلك العالمان الجليلان حسام الدين سنقر الاخلاطى الذى توفى وهو مرابط مع صلاح الدين على مشارف عكا فى رجب من السنة نفسها « وأسف المسلمون أسفاً شديداً فانه كان شجاعاً ديناً »(٣٣) والشيخ الجليل حسام الدين طمان الذى رافق صلاح الدين حتى تل العياضية المقابل لتل المصلبين الذى يشرف على عكا ثم توفى من الاجهاد ودفن فى سفح هذا التل وصلى عليه ابن شداد مع « جماعة من الفقهاء » الذين رافقوه وذلك ليلة نصف شعبان(٣٤) ، كما وفد على صلاح رجل « كبير مذكور » من أهل مازندران « يريد الغزاة » فوصل والحرب قائمة ، ولقى السلطان وتكلم معه واستأذنه فى الجهاد ، وحمل حملة شديدة حتى استشهد رحمه الله(٣٥) ؛ كذلك أبرز ابن الأثير الدور الذى لعبه الغزاة المتطوعة ، ابان الحصار الصليبى لعكا ، فأفرد له عنوانا وسمه بوقعة « للغزاة المتطوعة» ذكر ان صلاح الدين ركب سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م فى عدد يسير من جيشه ، لينظر الى مخيم الصليبيين من الجبل ، كى يعمل بمقتضى ما يشاهده « وظن من هناك من غزاة العجم والعرب والمتطوعة » أنه على قصد المصاف والحرب ، فساروا مجدين وأوغلوا فى أرض العدو ، تاركين السلطان وراءهم فأرسل صلاح الدين عدداً من رجاله يردونهم ويحمونهم، فلم يسمعوا ولم يقبلوا ، وكان الصليبيون قد اعتقدوا أن وراءهم كميناً ،

---

(٣٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٣٤ .

(٣٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٨ .

(٣٤) ابن شداد ، المصدر نفسه ، ص ٩١ ، عفاف صبرة ، المرجع نفسه ص .

(٣٥) ابن شداد ، المصدر نفسه ، ص ١٥٢ ، ومازندران ، هى التى كانت تعرف بطبرستان ، حيث يذكر لسترنج أنه منذ المئة السابعة للهجرة بطل استعمال هذا الاسم وحل محله اسم مازندران ، وهو ما يعرف اليوم بجبال البرز الممتدة بحذاء الساحل الجنوبى لبحر قزوين (انظر بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٠٩) .

فترددوا بادىء الأمر فى مهاجمتهم ، فأرسلوا من ينظر حقيقة الأمر ؛ فأتاهم الخبر أنهم منقطعون عن المسلمين ، فحمـــل عليهم الصليبيون واستشهد منهم جمع كثير(٣٦) .

كذلك أسهمت هذه الطائفة فى حركة الجهاد ضـد الصليبيين زمن السلطان العادل الأيوبى وابنائه واحفاده من بعده . حيث ظهر دورها واضـــحاً فى الدفاع عن الأراضى المصرية التى اســـتهدفتها الحملتـــان الصليبيتان الخامسة والسابعة ، فقد شـارك عـــدد من الفقهاء والعلماء الجنود النظاميين فى مقاومة الحصار الصليبى الذى فرضه رجال الحملة الصليبية الخامسة على ثغر دمياط سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م ونال كثير منهم الشهادة عليه ، كالفقيه محمد بن اسماعيل بن القاضى ، الشـــهير بابن أبى صادق . والفقيه العالم جلال الدين بن شاش امام المالكية ومرجعهم، الذى حج فى آخر أيامه ، ولمـــا عاد امتنع من الفتيا تورعاً ، وفضـــل المشاركة فى الجهاد ضد الصليبيين بنفســـه فمضى الى دمياط والعـــدو محاصر له وقاتل حتى استشهد . وكذلك الشيخ محمد بن أبى القاسم ابن عبد الله الهكارى الذى اشتهر برجاحة عقله ووفير علمه وسداد رأية ؛ فوثق به الملك المعظم واتخذه مستشاراً له ، وظل كذلك حتى اسـتشهد على قلعة الطور التى أمر العادل بهدمها « ليتوفر من فيه من المسلمين والعدد على حفظ دمياط »(٣٧) ومنهم أيضا الشيخ أبو الحسن بن قفل الذى وقع فى أسر الصليبيين عند دخولهم دمياط ، فسألوا عنه فقيل لهم « هذا رجل صالح من مشايخ المسلمين يأوى اليه الفقراء ، فما تعرضوا له بعد »(٣٨) وممن أسهم أيضاً فى محاولة صد الصليبيين عن هذا الثغر المؤرخ المعاصر أبى المظفر سبط ابن الجوزى حيث كتب اليه الملك المعظم وهو بدمشق يخبره بما جرى على دمياط ، وطلب منه أن يحرض الناس على الجهاد ، فقال له « انى كشفت ضياع الشام فوجدتها ألف قرية منها

---

(٣٦) انظر الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٠٠ ، انظر أيضا ، العمـــاد ، الفتح ، ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٣٧) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٢١ .

(٣٨) أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص ١١٧ .

ألف وستمائة من أملاك لأهلها ، وأربع مائة سلطانية ، وكم مقدار ما تقوم به هذه الأربعمائة من العساكر وأريد أن يخـــرج الدماشقة ليذبوا عن أملاكهم » فجلس سبط ابن الجوزى فى جامع دمشق ، وقرأ كتابه عليهم، فتقاعدوا وكان تقاعدهم ثمناً لأخذه الثمن والخمس من أموالهم • ولمـا علم المعظم بذلك كتب الى سبط أنهم اذا لم يخرجوا فسر أنت الينـــا ، فخرج سبط الى الساحل فوافى المعظم وهو نازل على قيسارية ، فأقام معه حتى فتحها عنوة ثم توجه معه الى الثغر « ففتحه وهدمه وعاد الى دمشق »(٣٩) •

وعندما تعرضت الأراضى المصرية لخطر الحملة الصليبية السابعة سنة ٦٤٧هـ ـ ٦٤٨ هـ / ١٢٤٩م أبلى الفقهاء والعلماء بلاء حســـناً فى الدفاع عنها وقد تجلى دورهم بوضوح فيما أبدوه من بسالة وتضحية فى معركتى المنصورة وفارسكور ، فممن استشهد فى هـــذه المحنة العالم الجليل ضياء الدين أبو الحسين ، الذى كان شيخاً عنى بدراسة الحديث والفقه ، تعرض لطعنات الفرنج فى المنصورة حتى استشهد ودفن جثمانه الطاهر فى القاهرة(٤٠) •

وممن أسهم أيضاً فى صد الصليبيين عن الأراضى المصرية فى هـذه السنة العز ابن عبد السلام ، الذى شارك بنفسه فى هزيمة الصليبيين فى المنصورة ، وكانت له كرامة أثناء القتال أوردها السبكى فى طبقاته حيث قال عنه « وكان الشيخ مع العسكر ، وقويت الريح ، فلما رأى الشيخ حال المسلمين نادى بأعلى صوته مشيراً بيده الى الريح ، يا ريح خذيهم، عدة مرات ، فعادت الريح على مراكب الفرنج فكسرتها ، وكان الفتح ، وغرق أكثر الفرنج ، وصرخ من بين يدى المسلمين صارخ : الحمـــد لله الذى أرانا فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم رجلا سخر له الريح»(٤١) •

---

(٣٩) أبو شامة ، المصدر نفسه ، ص ١١٧ •

(٤٠) لمزيد من التفصيل نظر عفاف صبرة ، دراسات فى الحروب الصليبية ،ص

(٤١) السبكى ، طبقات الشافعية ، جـ ٨ ، ص ٢١٦ ، انظر أيضا محمد الزحيلى، العز بن عبد السلام ، ص ١٢٤ ؛ والعز : هو شيخ الاسلام عبد العزيز بن عبد السلام =

وعندما فوجىء الشرق الاسلامى فى أوائل القرن السابع الهجرى ـ الثالث عشر الميلادى ـ بحملات المغول المدمرة الذين حطموا دولة فى ايران والعراق وآسيا الصغرى وبلاد الشام ، ولم يوقف زحفهم سوى دولة المماليك الفتية فى مصر التى ألحقت بهم هزيمة منكره فى معركة عين جالوت الشهيرة سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م وانقذت من تبقى من العالم الاسلامى من خطرهم المدمر • أسهم العز بن عبد السلام بجهد وافر فى هذه المعركة اذ كان له دور بارز فى تحريض الجيش المملوكى المسلم على الخروج لمواجهة المغول فى فلسطين قبل وصولهم الى الأراضى المصرية ، وافتى بأنه « اذا طرق العدو بلاد الاسلام وجب على العالم قتالهم » وجاز للحاكم أن يأخذ من الرعية ما يستعين به على الجهاد ، شريطة أن لايبقى فى بيت المال شىء ، وأن يحضر ما عنده وعند امرائه وحريمهم من الحلى ، وتسك نقوداً ثم تفرق على العسكر(٤٢) •

وعندما خرج المسلمون لمواجهة المغول رافقهم العز رغم كبر سنه ، ويذكر أنه قال لمن تخاذل من الجنود فى الخروج خوفاً من بطش المغول « أخرجوا وأنا أضمن لكم على الله النصر »(٤٣) •

وممن برزوا فى تلك الآونه العالم الفقيه الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد الذى استطاع بخطبه البارعة أن يؤثر على جموع المسلمين بمصر

=

ابن أبى القاسم بن حسن بن محمد السلمى المعروف بسلطان العلماء وبائع الملوك ، كان عالما فقيها عابدا صالحا مجتهد أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر لا يخشى فى الله لومة لائم ، ولد بدمشق سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م صنف الكثير من المؤلفات فى الشريعة واللغة ، وله العديد من الفتاوى قادته الى السجن فى الشام ومن ثم الهجرة الى مصر حيث عين قاضيا ومارس التدريس والافتاء ، توفى بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ/٢٢٦٢م (انظر ترجمته مفصلة فى السبكى ، طبقات الشافعية ، جـ ٨ ، ص ٢٠٩ ، ٢٥٥ ، وانظر أيضا الزحيلى ، المرجع نفسه ، ص ٣٩ ؛ على الغامدى ، بلاد الشام قبيل الغزو المغولى ، ص ٢٧٨) •

(٤٢) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ٧٢ ـ ٧٣ •

(٤٣) سليم الهلالى ، صفحات مطوية من حياة سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، ص ٦٢ ـ ٦٣ • ومما يجدر ذكره هنا أن العز شارك فى معركة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ وتوفى سنة ٦٦٠هـ وعمره ٨٣ سنة • •

بدعوتهم للخروج لملاقاة المغول فى عين جالوت. وشاركهم القتال بنفسه فى هذه المعركة التى ادى أنتصار المسلمين فيها الى تغيير موازين القوى فى الشرق لصالح الاسلام والمسلمين(٤٤) .

وقد برزت لنا شخصية أخرى من الفقهاء الذين أسهموا فى حركة الجهاد ضد المغول ذلك هو شيخ الاسلام محى الدين أبو زكريا النووى ، الذى ذكر عنه ، أنه كرر فتوى العز بن عبد السلام ، فيما يتعلق بمسألة جواز أخذ مال من الرعية يستنصر به على قتال العدو . اذ أنه عندما كتب فقهاء الشام الى السلطان المملوكى الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ - ١٢٧٧م) بجواز ذلك ، امتنع عن موافقتهم مشترطاً نفس الشروط التى شرطها العز على السلطان المملوكى السابق المظفر قطز (٦٥٧ - ٦٥٨هـ/١٢٥٩ - ١٢٦٠م) فغضب عليه بيبرس ، وقال له أخرج من بلدى « يعنى دمشق » فخرج الشيخ الى نوى ، فشفع فيه الفقهاء والعلماء ، وقالوا لبيبرس هذا من علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به ، وطالبوا باعادته الى دمشق ، فرسم بيبرس برجوعه ، لكن الشيخ أبى ورد قائلا « لا أدخلها والظاهر فيها » ومات بعد شهر من ذلك(٤٥) .

---

(٤٤) انظر عفاف صبرة ، المرجع السابق ، ص .. ، نقلا عن الادفوى ، الطالع السعيد ، ص ٥٦٧ . وابن دقيق العيد هو : الامام العلامة الفقيه محمد بن على بن وهب بن مطيع بن أبى الطاعة ، المنفلوطى الأصل ، المصرى القوصى المنشأ ، المعروف بتقى الدين بن دقيق العيد ، تولى القضاء بالديار المصرية سنة ٦٩٥ هـ ، واستمر فيه الى ان توفى سنة ٧٠٢ هـ . (انظر ترجمته مفصلة فى ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة ، جـ ٤ ، ص ٩١ - ٩٦) .

(٤٥) انظر البدرى ، الاسلام بين العلماء والحكام ، ص ١٠١ ؛ محمد نعيم ياسين ، الجهاد ميادينه وأساليبه ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ . والامام النووى هو : الامام الحافظ الفقيه المحدث محى الدين أبو زكريا شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعه بن حزام النووى الدمشقى ، ولد فى نوى من أرض حوران سنة ٦٣١هـ ، كان رحمه الله على جانب كبير من العلم والعمل والورع والزهد ، والصبر على خشونة العيش ، والمصابرة على أنواع الخير ، لا يعرف ساعة فى غير طاعة الله . عاد فى آخر عمره الى بلده نوى ، فمرض عند أبويه وتوفى ليلة الأربعاء لست بقين من شهر رجب سنة ٦٧٦هـ ، ودفن بها (انظر الامام النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن ، مقدمة المحقق ، ص د - ط) .

ورغم أننا لا نعرف ان كان السلطان المملوكى بيبرس قد وافق على شروط الامام النووى أم لا ، عندما رسم بارجاعه ، فان الذى يهمنا هو أن مشاركة النووى فى الجهاد صد المغول ضمن الجيش المملوكى كان من قبيل التطوع ، بدليل أن السلطان بيبرس لم يطالبه بشىء عندما أمره بالخروج من دمشق ٠

وممن أسهم فى حركة الجهاد ضد المغول من أئمة المسلمين وفقهائهم شيخ الاسلام وحجته الامام تقى الدين أحمد بن تيمية رحمه الله ٠ ذكر ابن كثير أنه فى يوم العشرين من شوال سنة ٦٩٩هـ/١٣٠٠م ركب نائب السلطنة المملوكية بالشام جمال الدين أقوش الأفرم فى جيش من دمشق متوجهاً الى جبال الجرد وكسروان ، وخرج معه الشيخ تقى الدين بن تيمية ومعه « خلق كثير من المتطوعة والحورانة » لقتال أهل تلك الناحية بسبب فساد نيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم(٤٦) ٠

وختاماً فان ما أوردته نماذج فى هذه العجالة المتواضعة عن دور العلماء والفقهاء فى المشاركة فى حـــركة الجهاد ضد الصليبيين والمغول تطوعاً ابان هجومهم على الشرق الاســـلامى كان على ســـبيل المثـــال لا الحصر ٠ فالمقام لا يتسع لحصر من أسهم من هذه الفئة فى هذا المجال٠

ثانيا : فرق الأحـداث

الأحداث أو الحدثان ، جمع حـــدث وهو « الفتى السن » ويقال رجل حدث ، أى شاب ، وهؤلاء غلمان حدثان ، أى أحداث(٤٧) ٠ ويذكر بعض المؤرخين أن طائفة الاحداث هذه ، تكونت فى بعض مدن الشام منذ النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادى ـ

---

(٤٦) انظر البداية والنهاية ، جـ ١٤ ، ص ١٢ ؛ والحورانة : نسبة الى حوارين من قرى حمص من جهتها الجنوبية ، قال الشاعر ظللنا بحوارين فى مشمخرة : تمر سحاب تحتنا وتلوج (انظر لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٢٢ مادة (حور) ، أبو الفدا، تقويم البلدان ، ص ٨٣ ، وتبعد الآن عن حمص حوالى ٧٥ كم ، وتتبع اداريا ناحية القريتين (ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥٣ تحقيق سهيل زكار ٠

(٤٧) ابن منظور ، المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٢ ــ ٣٣ ، مادة (حدث) ٠

يهدف مقاومة الحكم الفاطمى • وهم عبارة عن جماعات من القـــوات المدنية كان يوكل اليهم الى جانب ذلك عدد من المهام داخل المـــدن ، كحفظ النظام ، ومكافحة الحرائق ، واغاثة المنكوبين ، اضافة الى أنهم كانوا يلحقون بالقوات النظامية عندما يعلن داع الجهاد النفير العـــام للخروج لقتال الأعداء • متى دعت الحاجة اليهم(٤٨) •

والملاحظ أن كلمة أحداث عندما تذكر فى المصـــادر ، فانها غالباً ما ترد مقرونة بلفظ المتطوعة • من ذلك ما ذكره المؤرخ أبو شـــامة فى حوادث سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م ابان حديثه عن الحصار الذى فرضه رجال الحملة الصليبية الثانية على دمشق بزعامة الامبراطور الألمانى كونراد الثالث والملك الفرنسى لويس السابع حيث وقف المســلمون بازائهم فى السبت سادس ربيع الأول ونشبت الحرب بين الفـــريقين واجتمع لقتال الصليبيين « من الأعمال والاجناد والقتال والأتراك ، وأحـــداث البلد والمتطوعة والغزاة الجم الغفير »(٤٩) وذكر ابن القلانسى فى حوادث سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م أن نور الدين محمود بن زنكى تأهب لمجاهدة الفرنج فى هذه السنة وأمر بالنداء فى دمشـــق لحث « الغـــزاة والمجاهدين والأحداث والمتطوعة من فتيان البـلد والغـــرباء ، فتبعه من الأحداث والمتطوعة والفقهاء والصوفية والمتدينين العدد الكثير »(٥٠) وعليه فانه يبدو لنا أن هؤلاء الأحداث لم تكن اسماؤهم مدرجة ضمن قوائم العسكر النظامى ، وانما كانوا يخرجون للجهـــاد بمحض اختيارهم تطوعاً ،

---

(٤٨) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٠٧ حاشية المحقق ؛ ســـعيد عاشـور ، بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص ٣٠ ـ ٣١ ، مسفر الغامدى ، الجهاد ضد الصليبيين فى الشرق الاسلامى قبل قيام الدولة الأيوبية فى مصر ، ص ٤٩ ، ويمكن أن نشبه فرق الاحداث هذه بما يعرف فى وقتنا الحاضر ، بفرق الدفاع المدنى، أو المقاومة الشعبية ، التى تحرص الحكومات الحالية على اعدادها وتطويرها لمواجهة الأزمات والكوارث الناجمه عن اشتعال الحروب ، أو حـــدوث الزلازل والفياضانات والحرائق وما شابهها •

(٤٩) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ص ٥٢ •

(٥٠) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٤٠ ، انظر أيضا ، أبو شامة ، المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٠٧ •

ولعل مما يؤيد هذا ، أن المصدر نفسه يورد كلمة أحداث هذه تارة مقرونة بلفظة الأجناد ، وأخرى بالعسكر وذلك تمييزا للأحـــداث عن الجنـد النظاميين ، من ذلك ما ورد فى حـــوادث سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م ، أن نور الدين محمود بن زنكى نزل فى هـــذه السنة بأرض داريا الى جسر الخشب « ونودى فى البلد بخروج الأجناد والأحداث »(٥١) وأنه عندما دخل مشق سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م « زحف اليه من عسكره وأحداثه الخلق الكثير »(٥٢) ٠

ويطلق على زعيم هذه الطائفة لقب مقدم أو رئيس الاحداث(٥٣)٠ وكان يتمتع على ما يبدو ـ بحماس دينى كبير ، وصل الى حد الخروج على الزعيم المحلى متى بدر منه تقاعس عن أداء مهامه الدفاعية ضـــد الاعداء ، وتمهيد السبيل للبديل الأصلح ٠ من ذلك ما حدث سنة ٥٤٩هـ عندما قصد نور الدين محمود مهاجمة دمشق حيث راســـل « أحداثها وزناطرتها » ، واستمالهم اليه ، فأجابوه الى تسليم البلد ، ذلك أنه ما ان بدأ نور الدين حصاره لدمشق ، حتى اعلنوا ثورتهم على حاكمها مجير الدين أبق البورى وسلموا البـــلد لنور الدين بأن فتحوا له بابها الشرقى ، فدخله بالأمان عاشر صفر ، وحصر مجير الدين فى القلعـــة وراسله ووعده بمنحة الأقطاع الكثير ، ومن جملته مدينة حمص ، فأجاب الى تسليم القلعة ، حيث سلمها ورحل الى حمص(٥٤) ٠

ولم يقتصر ظهور طائفة الأحداث هذه على مدينة دمشق ، بل يبدو أنه كان لكل مدينة شامية أحداثها ٠ من ذلك ما ذكر من أن الأحـــداث الحلبيين ساعدوا الأمير أسد الدولة صالح بن مرداس الكلابى على أنتزاع حلب من يد الفاطميين سنة ٤٥١هـ/١٠٢٤م) وعين أبا المرضى سالم بن مستفاد الحمدانى غلام سيف الدولة بن حمدان مقدمهم ، وعندما استعاد

---

(٥١) أبو شامه ، الزوضتين ، ج ١ ، ص ٨٠ ٠

(٥٢) أبو شامه ، المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٦ ٠

(٥٣) نظير حسان سعداوى ، جيش مصر ، ص ١٤ ٠

(٥٤) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٠٧ ٠ والزناطره : طبقة معينة من سكان المدن كانت مولعة بتحريك الفتن والقلاقل (انظر المصدر نفسه حاشية ٤) ٠

الفاطميون حلب من بنى مرداس ، استدعى الحلبيون وفيهم الأحداث سنة (٤٣٤هـ/١٠٤٢م) معز الدولة علوان ثمال بن صـــالح وابن عمه مقلد بن كامل بن مرداس ، فوصل ثمال قبل المقلد ودخل حلب واجتمع اليه الأحداث(٥٥) ٠ وكذلك ما ذكره ابن العـــديم ، عند حـديثه عن الصراع الذى دارت رحاه بين رضوان بن تتش صاحب حلب ، وبين أخيه دقاق صاحب دمشق سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧م ٠ حيث ذكر أن رضوان عندما علم بأن ياغى سيان صاحب أنطاكية وصل نجدة لدقاق ، استنجد رضوان بسليمان بن ايلغازى صاحب سميساط(٥٦) ٠ فوصل بعسكر كثير الى حلب وجمع رضوان للدفاع عنها من قـــدر عليه من الترك والعـــرب « وأحداث حلب » كما ذكر ابن العديم فى موضع آخر أن رضوان عندما سمع بهجوم الصليبيين على أرتاح توجه نحوهم فى عساكره وجموعه « وجمع ما أمكنه من عمل حلب من الأحداث »(٥٧) اذ يفهم أن المقصود بعمل حلب ، هو المدن والقرى والحصون والضياع التابعة لها ٠ كما يتضح من هذا أن مهام هؤلاء الأحداث لم تكن مقصورة على حفظ الأمن داخل المدن ، بل كانوا يخرجون للجهاد ضـــد الصليبيين متى دعت الحاجة الى ذلك ٠

كما ذكر سبط بن الجوزى أنه خرج سنة (٦٠٧هـ/١٢١٠م) من دمشق الى نابلس « الى الغزاة » ٠٠٠ وكان معه من قرية واحدة يقال لها زملكا من قرى دمشق ثلاثمائة رجل بالعدد والســـلاح ، ومن غيرها خلق كثير «والكل خرجوا احتسابا »(٥٨) ٠

أما بالنسبة لحجم قوة هذه الطائفة ومدى تأثيرها على مجريات الحوادث ، واتخاذ القرارات فى بعض مدن الشام ، فانه يمكن أن نلحظ ذلك من خلال وصف دقيق وصـــف به المؤرخ ســوفاجيه Sauvaget

---

(٥٥) عمر رضا كحالة ، دراسات اجتماعية فى العصور الوسطى ، ص ٢٦ ٠

(٥٦) سميساط بضم أوله وفتح ثانيه ، مدينة على شاطئء الفرات (انظر ياقوت معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٥٨) ٠

(٥٧) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ، وأرتاح : حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب (انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٤٠) ٠

(٥٨) انظر مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٥٤٤ ـ ٥٤٥ ٠

أحداث مدينة حلب ابان القـرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين ـ الخامس والسادس الجهريين ـ حيث قال « هذه المنظمة كانت تمثل قوة تحسب لها الدولة حسابها فقد كان رئيسها فى الواقع سيد المدينة ، وكان له النفوذ التام فى أزمنة الفوضى ، بحيث لم يكن باستطاعة أى كان أن يفرض سلطته دون التعـاون معه ، وبســبب ذلك أصبح تأييده مما يتنافس عليه المعنيون بالأمر عن طريق بذل المال ، ومن ثم كانت الدولة تعترف به رسميا ، الأمر الذى ثبت مركزه رئيساً للمدينة . ولم يكن يأتى من بين الرعاع ، بل على العكس كان من الأسر ذات المقام المرموق بحيث يمكنه أن يفرض احترامه على الجميع ، بما فى ذلك السلطان »(٥٩) .

ثالثا : التركمان المتطوعة

شهد اقليم الجزيرة منذ النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ـ الحادى عشر الميلادى ـ هجرة جماعات من القبـائل التركية البدوية (التركمان) التى اعتنقت الاسـلام منذ بداية هــذا القرن . وقد عرف هؤلاء المسلمون الجدد بحماسهم الشديد للاسلام وبراعتهم فى استخدام السهام التى قلما يخطئون الرمى بها .

وأدى مجيئهم الى دفع حركة الجهاد . حيث عمــد السلاطين فى الشرق الاسلامى الى الاستعانة بهم بالسـماح لهم بالتطوع فى صــفوف جيوشهم ، فيذكر ابن العديم أن عمـاد الدين زنكى عندما عــزم على مهاجمة الصليبيين فى الرها ســنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م استدعى « طوائف التركمان المتطوعة »(٦٠) كما يذكر ابن القلانسى عند تناوله الحــدث نفسه أن زنكى « كاتب طوائف التركمان بالاستدعاء لهم للمعونة عليها ـ أى الرها ـ والاستنجاد وأداء فريضة الجهاد ، فوصل اليه منهم «الخلق الكثير والجم الغفير »(٦١) وذكر فى موضع آخر أن زنكى لما بلغه أن الصليبيين قد تجمعوا بانطاكية لانجاد أهل الرها ، انهض اليهم جيشاً

---

(٥٩) نقلا عن جيرارد زالنغرد ، الفتوه هل هى الفروسية الشرقية ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، حاشية رقم ٤٨ .

(٦٠) ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ .

(٦١) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٩ .

وافراً من طوائف « التركمان والأجناد »(٦٢) ويبدو من هذين النصين ان مشاركة التركمان كانت تطوعاً بدليـــل استخدام ابن القلانسى كلمة « كاتب » بدلا من كتب اذلو لم يكن استدعاءهم بهدف التطوع ، لاستخدم اللفظ « كتب » الذى ينم غالباً عن الأمر ٠

ومن البراهين الدالة على أن جموعاً من طوائف التركمان ، كانت تفد على معسكرات عماد الدين زنكى للجهاد معه تطوعاً ، ما ذكره اسامة بن منقذ من عبارات على لسان زنكى نفسه تدل على ذلك ٠ فقد ذكر أن زنكى كان يقول لأصحابه عندما يكون بحلب نريد أن « نمضى الى الفرات نجمع التركمان » واذا نزل على الفرات قال لهم « ان لم نعد الفرات ما يجتمع لنا التركمان »(٦٣) ٠

ومن ذلك أيضاً أن نور الدين محمود عندما أرســـل أســـد الدين شيركوه على رأس الحملة الثالثة الى مصر سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م اعطاه مائتى ألف دينار عدا الثياب والأسلحة وسمح له أن يختار من العسكر من يشاء ، وزاد على ذلك بأن « جند ستة آلاف فارس من التركمان » وعندما توفى شـــيركوه أدى تعيين صـــلاح الدين خلفـــاً له « الى انسحاب التركمان »(٦٤) وعليه فان تجنيد هؤلاء التركمان على يد أسد الدين شيركوه ، ثم انسحابهم من مصر بعد وفاته يدل دلالة واضحة على أنهم لم يكونوا من أهل الديوان ، بل كان خروجهم تطوعاً ٠

ويبدو أن هؤلاء التركمان اســـتمر نطوعهم للجهاد فى صـــفوف الجيوش الاسلامية حتى بعد أن تعرض الشرق الاسلامى لخطر الحملات المغولية المدمرة ، يدلنا على ذلك ما ذكره المؤرخ المعاصر ابن واصل ، أنه عندما تمكن المغـــول من هزيمة السلطان غياث الدين زعيم سلاجقة الروم سنة ٦٤١ هـ/١٢٤٣م بالرغم من قدوم عسكر حلب لنجدته « ثارت

---

(٦٢) ابن اللاقنسى ، المصدر نفسه ، ص ٢٨٠ ٠
(٦٣) انظر كتاب الاعتبار ، ص ٣٩ ٠
(٦٤) انظر هاملتون جب ، دراسات فى حضارة الاسلام ، ص ٩٧ ٠

التركمان فى البـــلاد ينهبون ويعيثون »(٦٥) اذ لا يستبعد أن ثورتهم لكونهم ليسوا من الجند النظامى ، كانت بسبب ضعف غيـــاث الدين وتهاونه فى صد خطر المغول عن بلاده ، يعضد هذا ما ذكره أبو المحاسن ابن تغرى بردى ، أن السلطان غياث الدين صالح التتار على أن يدفع لهم كل يوم ألف دينار وفرسا ومملوكا وكلب صيد • وأنه كان شابا لعابا ظالما قليل العقل « يلعب بالكلاب والسباع ويسلطها على الناس ، فعضه بعد ذلك سبع فمات ، فأقام التتار شحنة على الروم »(٦٦) •

رابعا : الخراسانيون المتطوعة

كانت رغبة الخراسانيين فى الجهاد وحميتهم الدينية ســـببا فى تدفقهم على أقاليم الشرق الاسلامى ، ففى سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م خرج من خراسان نحو من عشرين ألفاً من الغزاة ، بعد أن نما اليهم توالى نجاح الروم البيزنطيين فى مهاجمة بلاد الاسلام شمال الجزيرة والشام ، وسار الخراسانيون حتى بلغوا الحدود الشرقية لدولة بنى بويه ، فاستراب بهم صاحب الحد • وخالف ركن الدولة وزيره ابن العميد فى أمرهم ، وكاتب صاحب الحد بأن يأذن لهم فى الدخول ، فدخلوا ومعهم فيل عظيم ، واجتمع رؤساؤهم الى الوزير ابن العميد ، وخاطبوه فى أن يطلب لهم من الأمير ركن الدولة مالا يستعينون به على أمر الغزو ، ولكنه لم يجزل لهم العطاء ، فاشتطوا فى الطلب قائلين « نحتاج الى مال هـذه البلاد كلها التى بأيديكم ، فانكم انما جبيتموها لبيت مال المسلمين لنائبة أن تأتيهم ، ولا نائبة أعظم من طمع الروم والأرمن فينا ، واستيلاءهم على

---

(٦٥) انظر مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٣٢٧ ، والســلطان غياث الدين هو : كيخسرو الثانى بن كيقباذ الأول حكم سلطنة سلاجقة الروم من (٦٣٤ ـ ٦٤٤ هـ / ١٢٣٧ ـ ١٢٤٦) انظر ، ابن العديم بغية الطلب ، جـ ٨ ، ص ٣٥٤٧ حاشية المحقق •

(٦٦) انظر النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٣٤٧ ؛ أما سبط ابن الجوزى ، فقد وصفه بأنه كان « صبيا لعابا » انظر مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق٢ ، ص ٧٥٩ ؛ والشحنه أو الشحنكيه : وظيفة يسمى متوليها صاحب الشحنه ، وهو رئيس الشرطة الموكل بحفظ الأمن فى البلد ، (انظر محمد قنديل البقلى ، التعريف بمصطلحات صبح الاعشى، ص ١٩٣) •

ثغورنا ، وضعف المسلمين عن مقاومتهم »(٦٧) • ويبدو أن هذا الحماس للجهاد والغيرة على ثغور المسلمين من قبل هؤلاء الخراسانيين ، كان من باب التطوع ايمانا منهم بفرضية الدفاع عن حوزة الاسلام والمسلمين ، يؤيد هذا ما ذكر من أن الخراسانيين زادوا على ذلك بأن طلبوا من ركن الدولة ووزيره أن يرسلا معهم ثلة من جيشـــهما النظامى لتأدية هـذا الواجب •

وتشير المصادر المعاصرة الى أن هؤلاء الخراسانيين استمر تطوعهم بالجهاد فى صـفوف الجيوش الاسلامية فى الشرق الاسلامى ابان تعرضه لخطر الحملات الصليبية التى شنها الغرب الأوربى المسيحى عليه منـذ أواخر القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى ، فقد تحدثت هذه المصادر عن الدور الفاعل والجهد البـــارز الذى بذله الخراسانيون أثناء حصار جيوش عماد الدين زنكى للرها سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م فقد استغل زنكى معرفة هؤلاء الخراسانيين « بمواضع النقوب » وأسند اليهم مهمة نقب أسوار المدينة ، فنقبوا فى عدة مواضع « عرفوا أمرها وتيقنوا نفعها وضرها » واستمروا فى أداء مهمتهم هذه حتى وصلوا تحت أساس أبراج السور « فعلقوه بالأخشاب المحكمة والآلات المنتخبة » ثم استأذنوا عماد الدين فى اطلاق النيران عليها فأذن لهم بعد أن تفقد بنفسه أحد الثقوب « وشاهد حاله واستعظم كونه وهاله » ولما تمكنت النيران من العوارض الخشبية وقع السور فى الحال(٦٨) •

---

(٧) آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ص ٩٦ • وركن الدولة هو : أبو على الحسن بن بويه بن مناخسرو الديلمى صاحب اصبهان والرى وهمذان وجميع عراق العجم توفى ليلة السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٣٦٦ هـ (انظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٢ ، ص ١١٨ ـ ١١٩) وابن العميد هو : أبو الفضل محمد بن العميد أبى عبد الله الحسين بن محمد الكاتب ، توفى فى صفر ، وقيل المحرم بالرى وقيل ببغداد سنة ٣٦٠هـ (انظر ابن خلكان ، المصدر نفســـه ، جـ ٥ ، ص ١٠٣ ـ ١٠٩) •

(٦٨) ابن القلانسى ، ذيل مرآة الزمان ، ص ٢٧٩ ؛ انظر أيضا ، ابن الاثير ، الباهر ، ص ٦٩ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ٩٤ •

خامسا : المســـتأمنون

ومن الممكن أن نلحق بالمتطـوعة من المسلمين جماعات المستأمنين الذين كانوا يفدون على معسكرات المسلمين من بين صفوف أعدائهم . ومن الواضح أن هؤلاء ليسوا مجاهدين بمعنى الجهاد الذى نقصده فى هذا البحث ، وانما كانوا أقرب الى المرتزقة الذين يستهدفون الكسب . وربما من ذلك ما ورد فى بعض المصادر أن جماعة من الصليبيين وصفهم ابن واصل بأنهم « خلق عظيم » وصلوا الى معسكر صلاح الدين مستأمنين سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م بسبب ما أصابهم من الجـــوع والفاقة فى معسكرهم الصليبى واستأذنوه فى مهاجمة مراكب الصليبيين فى البحر وقالوا له « نحن نخوض فى البحر فى براكيس ، ونكسب العدو ، ويكون المكسب بيننا وبين المسلمين » فأذن لهم صلاح الدين ، واعطاهم بركوسا ، ركبوا فيه ، وظفزوا بعدد من مراكب تجار الصليبيين ، ونهبوا ما بها من بضائع معظمها « فضة مصوغة وغير مصوغة » وأسروا بحارتها ، واحضروهم وممتلكاتهم بين يدى صلاح الدين ، فكافأهم بأن منحهم جميع ما غنموه، وكان لهـذه المـــكرمة أثرها البـــالغ على هـــؤلاء المستأمنين فأسلم شطرهم(٦٩) .

---

(٦٩) ابن واصل ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٤٧ ؛ انظر أيضا ، أبو شامه ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٨٢ والبزكوس ، جمعه براكيس وهو : نوع من السفن التى كانت تستعمل فى الحرب فى مياه البحر المتوسط فى العصور الوسطى وهو أصغر حجما من البطسة ، تقدر حمولة البركوس الواحد بخمسة وعشرين رجلا (انظـــر درويش النخيلى ، السفن الاسلامية على حروف المعجم ، ص ١٢ - ١٣) .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصـادر :

ابن الأثير الجزرى (أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيبانى الملقب بعز الدين ، ت ٦٣٠هـ/١٢٧) ٠

١ ـ الكامل فى التاريخ، ط بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ط ليدن١٨٨٦م٠

٢ ـ التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ط القاهرة ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ٠

ـــ ابن تغرى بردى (أبو المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكى ، ت ٨٢١هـ/ ط القاهرة ٠ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة٠

ـــ ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين أحمد بن على ، ت ٨٥٢هـ) الدرر الكامنة فى اعيان المئة الثامنة ، ط بيروت ٠

ـــ ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر، ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) ٠ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق أحسان عباس ، ط بيروت ١٩٧٢م ٠

ـــ ابن شداد (أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم ، ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) ٠ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط الفاهرة ، ١٩٦٤م ٠

ـــ ابن عبد الظاهر (محى الدين عبد الله بن رشيد الدين بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدى المصرى ، ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م) ٠

١ ـ الروض الزاهر فى سيرة السلطان الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، ط الرياض ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ٠

٢ ـ تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، ط القاهرة ١٩٦١م ٠

ـــ ابن العديم (الصاحب كمال الدين أبو القاسم أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة ، ت ٦٦٠هـ/١٢٦٣م) ٠

١ ـ بغية الطلب فى تاريخ حلب ، تحقيق ، سهيل زكار ، ط دمشق ٠

٢ ـ زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، ط بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م ٠

ـــ ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة ، ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) ٠ ذيل تاريخ دمشق ، ط بيروت ١٩٠٨م ٠

ـــ ابن كثير (عماد الدين اسماعيل بن عمر القرشى ، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) ٠ البداية والنهاية ، ط بيروت ١٩٦٦م ٠

ـــ ابن منظور (أبو الفضائل جمال الدين محمد بن مكرم ، ت ٧١١هـ/١٣١١م) ٠ لسان العرب ، ط بيروت ٠

ـــ ابن منقذ (اسامة بن مرشد بن على بن نصر الكنانى ، ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، ط برنستون ١٩٣٠م ٠

ـــ ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ، ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب جـ١ ـ ٣ تحقيق جمال الدين الشيال ، ط القاهرة ١٩٥٣ ، ١٩٥٧ ، ١٩٦٠ ، ج ٤ ، ٥ ، تحقيق حسنين ربيع ، ط القاهرة ، ١٩٧٢م ـ ١٩٧٧م ٠

ـــ أبو شامة (الحافظ شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ، ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) ٠

١ ـ كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، ط القاهرة ، ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م ٠

٢ ـ الذيل على الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) نشر ومراجعة السيد عزت العطار الحسينى ، ط بيروت ١٩٧٤م ٠

ـــ أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اســـماعيل صاحب حماه ، ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م • تقويم البلدان ، ط باريس ١٨٤٠م •

ـــ الحنبلى (أبو اليمن القاضى مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمـــد العليمى ، ت ٩٢٨هـ/١٥٢١م • الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ط النجف ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م •

ـــ سبط ابن الجوزى (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى ، ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م • مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ، ج٨ ، ط حيدر آباد ١٣٧٠هـ/١٩٥١م •

ـــ السبكى (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى، ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م) •

ـــ طبقات الشافعية الـــكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمـــد الحلو ، محمود محمد الطناحى ط القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م •

تاريخ الأمم والملـــوك ، تحقيق محمد أبو الفضـــل ابراهيم ، ط

ـــ تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضـــل ابراهيم ، ط بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م •

ـــ العماد الأصفهانى (أبو عبد الله محمد ، ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) •

١ـ البرق الشامى ، جـ٥ ، تحقيق فالح صالح حسين ، ط عمان١٩٨٧م•

٢ ـ الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقيق محمد محمود صبح ، ط القاهرة ١٩٦٥م •

ـــ القلقشندى (أحمد بن على ، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط بيروت •

ـــ النووى (أبو زكريا يحى بن شرف الدين النووى الشـــافعى ، ت ٦٧٦هـ) • التبيان فى آداب حملة القرآن ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ط دمشق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م •

ـــ النويرى (شهاب الدين محمـــد بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١م) • نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ط القاهرة •

ثانيا : المراجع :

— ابراهيم الساكت
الجيش فى التراث العربى الاسلامى ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد الثالث والعشرون ، ط بغداد ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ٠

— آدم متز
الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، أو عصر النهضة فى الاسلام ، جـ٢ ، ط بيروت ٠

— جرجى زيدان
تاريخ التمدن الاسلامى ، جـ١ ، ط ١٩٦٨م ٠

— جيرارد زالنغر
الفتوه هل هى الفروسية الشرقية ، ترجمة انيس فريحة ، مقال مطبوع ضمن كتاب دراسات اسلامية بأقلام عدد من المستشرقين باشراف نقولا زياده ، ط بيروت ١٩٦٠م ٠

— حامد غنيم أبو سعيد
عصر الدول الاقليمية ، جـ١ ، ط القاهرة ١٩٧٠م ٠

— درويش النخيلى
السفن الاسلامية على حروف المعجم ، ط القاهرة ، ١٩٧٩م ٠

— سعيد عبد الفتاح عاشور
بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ط بيروت ١٩٧٧م ٠

— سليم بن عيد الهلالى
صفحات مطويه من حياة سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، ط الدمام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ٠

— عبد العزيز البدرى
الاسلام بين العلماء والحكماء ، ط المدينة المنورة ٠

— عبد العزيز عبد الله السلومى
ديوان الجند ، نشأته وتطوره فى الدولة الاسلامية حتى عصر المأمون ، ط مكة المكرمة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ٠

— عفاف سيد صبره
دراسات فى الحروب الصليبية ، ط القاهرة ١٤٠٥هـ ٠

— على عودة الغامدى
بلاد الشام قبيل الغزو المغولى ، ط مكة المكرمة ١٤٠٨/١٩٨٨م ٠

— عمر رضا كحالة
دراسات اجتماعية فى العصور الوسطى ، ط دمشق ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م ٠

— كى لسترنج
بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكركيس عواد ، ط بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ٠

— محمد على حيدر
الدويلات الاسلامية ، فى المشرق ، ط القاهرة ، ١٩٧٤م ٠

— محمد الزحيلى
العز بن عبد السلام سلطان العلماء وبائع الملوك ، ط دمشق ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ٠

— محمد قنديل البقلى : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ط القاهرة ١٩٨٣م ٠

— محمد نعيم ياسين
الجهاد ميادينه وأساليبه ، ط ٠ عمان ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ٠

— مسفر سالم الغامدى
الجهاد ضد الصليبيين فى الشرق الاسلامى قبل قيام الدولة الأيوبية فى مصر ، ط جدة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ٠

ـــ محمد أحمد عواد
الجيش والقتال فى صدر الاسلام ، ط الزرقاء ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ٠

ـــ وفيق الدقدوقى
الجندية فى عهد الدولة الأموية ، ط بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ٠

ـــ نظير حسان سعداوى
جيش مصر فى أيام صلاح الدين ، ط القاهرة ١٩٥٩م ٠

ـــ هاملتون جب
دراسات فى حضارة الاسلام ، ط بيروت ١٩٧٤م ٠